بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ونستفتح بالذي هو خير. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

هذه سلسلة تتألف من حلقات عديدة يمكن أن ننظر إليها على أنها مقررٌ دراسيّ للشباب خاصة، ولشرائح أخرى من مجتمعاتنا المسلِمة التي تعاني من الاحتقان الطائفي الذي نشهده في مناطق عديدة من العالم الإسلامي. هذه السلسلة يمكن اعتبارها بمثابة مقرر دراسيّ لمجموعة من شرائح الأمة خاصة بصورة خاصة شبابها الذين يرون أنفسهم ضحايا لإرثٍ وتراثٍ تحملوا من نتائجه ما تحملوا دون أن يكون لهم رؤيةٌ أو اختيارٌ مباشر، أو مشاركة في الأحداث التي صنعت هذا الحاضر المؤلم، ولذلك فهم يتساءلون على الدوام لماذا نحن متفرقون، لم هذه الانقسامات -شيعة وسنة وسلفية وصوفية- ولم هذه الاختلافات، ولم هذا الصراع، ولم لا نحيا بسلام كما يحيا سوانا؟، هذه التساؤلات كلها تساؤلات مشروعة، ولذلك فإنني وجدت أن على المفكر -والمفكر ابن بيئته- عليه أن يستشعر آلامها وآمالها، وأن يشاركها ما هي فيه، وأن يُعِينها على فهم ما يدور حولها.

هناك أمور يعتبرها الناس حساسة لا يحبون أن يتناولوها ولا يحبون أن يستخدموا فيها ما يستخدمه الجَراح عندما يستعمل مِبْضعة ليفتح الجرح ولذلك تتراكم هذه الأمور ولا يزيدها الزمن إلا قوةً وتجذرًا في واقعنا ومحيطنا، وبذلك تزداد معاناتنا من حين لآخر.

نحن لا ينبغي أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونقول كما نفعل في كثير من الأحيان إننا بخير وعلى خير؛ فلا انقسامات ولا صراعات ولا طائفية ولا أخطار ولا احتقان طائفي. هذا النوع من الكلام لا يمكن كما يقال أن تغطى الشمس بغربال فالناس كلها تدرك أن العالم الإسلامي يعاني كله من احتقانٍ طائفيّ، كبتٍ يعوّق المفكرين والعقلاء وأهل العلم عن فتح تلك الجراح ومعالجتها وتفسير جذورها وأحداثها وبداياتها ومسيرتها وصيرورتها.

استخرت الله فوجدت أن عليَّ أن أقتحم العقبة، وأن أفتح هذه الجراح، وأن أعمل على معالجتها وعلى جعل أنفسنا نقف أمام مرآة كاشفة لنرى ما يجري في مجتمعاتنا وفي

أجيالنا، وما نتوارثه عبر تاريخ طويل. وجدت أننا فعلاً نعاني من عملية احتقانٍ طائفيٍّ تكاد تخنق الأنفاس يستطيع العدو أن يستغلها، ويستطيع القريب أن يوظفها، ويستطيع البعيد أن يستخدمها سياطًا يضربنا بها عندما يشاء، يدمر فيها حاضرنا ومستقبلنا غير مكتفين بتدمير ماضينا وتراثنا وتاريخنا.

هناك احتقانات كثيرة واختلافات كبيرة وجرى الحديث عن هذه الاختلافات بأشكال لا ترقى إلى محاولة إيجاد حلول لها، وشُكلت مجامع للتقريب وهيئات لدعوة الناس للتسامح ولقبول الآخر وما إلى ذلك، ولكن ما تزال عمليات التعبئة التي ورثناها قائمة يمكن تفجيرها في أي لحظة والدليل على ذلك هذا الذي يجري في العراق، وهذا الذي يجري على حدود اليمن بين الحوثيين والدولة وأناس آخرين، وذلك الذي يجري في أفغانستان، وتلك الأخبار التي نسمعها بين حين وآخر وقد لا يخلو أسبوع من حادثة تصادم بين شيعة وسنة في الباكستان، وفي أماكن كثيرة من العالم وحتى أماكن الأقليات قد ابتليت وانتقل الداء إليها، وأذكر أن رسالة جاءتني ذات يوم من مدير سجن كبير -أكبر سجن في نيويورك- يسألني فيها عن الفروق بين الشيعة والسنة ويخبرني برسالته تلك بأن هناك سجينًا شيعيًا طلب أن يدعى له ويوظف واعظ شيعي لأنه متمذهب بالمذهب الشيعي ولا يرى جواز الصلاة خلف إمام سني ولا الاستماع إلى مواعظ السنة وما إلى ذلك، فكأنه لم يكفنا أننا في بلداننا مختلفون منقسمون ولكن حتى أولئك الذين يدخلون الإسلام ابتداءً لا يعرفون شيئًا وما يزالون في بداية الطريق يحتاجون لأن يُعلّموا مبادئ الإمام، مبادئ الإسلام أخذ بعض الجهلة يعلمهم الطواف فيأتيني واحد مثل هذا يعلن أنه لا يصلي خلف سني ولا يريد أن يسمع مواعظ إمام سني ويريد إمامًا شيعيًا في سجن من سجون نيويورك، فإذا كان الناس يدخلون الإسلام هناك أحيانًا بدافع من الرغبة في التخلص من انقسامات الكنائس المسيحية والاختلافات الكبيرة التي بينها فماذا يفعلون حينما يجدون الإسلام الذي يفرون إليه يجدونه مترعًا مليئًا بهذه الاختلافات؟، وحينما أجبت السجن بأن المسلمين لا فرق بينهم وأنه حتى الإمام الخوميني دعا حجاج إيران لأن يصلوا خلف الأئمة من السنة في الحرمين وفي غيرهما واحتججت بأمور كثيرة وضممت إليّ إمامًا من إخواننا من أئمة الشيعة الموجودين هناك ليوقع على تلك الورقة رفض الرجل -هذا

السجين الأمريكي- وقال إن هؤلاء يريدون أن يصادروا حقي الديني في الحصول على واعظ من طائفتي وممّن المذهب الذي أنتمي إليه وأقام علينا دعوة وغُرِمنا بعض المال من أجل هذا.

ذلك يعني أن هذا الاختلاف لم تعد آثاره وأضراره خاصة بمنطقتنا بل تجاوزته إلى المناطق الجديدة التي يمكن للإسلام أن يولد فيها نقيًا وبريئًا من مشكلات التراث والتاريخ وما إلى ذلك حتى هذه البيئات أخذنا ننقل إليها هذه الميكروبات الطائفية وكأننا نريد أن نصادر على الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وبينه وأوله وطبقه في واقع معيش سيدنا وإمامنا رسول الله —صلى الله عليه وآله وسلم- حتى هذا نحاول المصادرة عليه.

شباب اليوم قد لا يعرفون كثيرًا من الأمور الموجودة في علم الكلام وربما لم يسمع بعضهم بأن هناك علمًا اسمه علم الكلام أو علمًا اسمه علم الملل والفرق والنحل أو علم اسمه علم الأصول أو علم آخر اسمه كذا وكذا، ولكن للأسف الشديد هؤلاء وإن لم يكن لديهم إطلاع على هذه الأمور ولكن نقلت إليهم أقوال من وعّاظ، من دعاة، من مشايخ، من قادة أحزاب، من رؤساء فئات فدخلت إلى أفكارهم وسيطرت عليها وحولتهم إلى سنة أو شيعة أو شيء آخر؛ أسمع أحيانًا بعض الشباب يتحدث عن أشاعرة وأسأله من هم الأشاعرة؟ فيقول لا أدري قبيلة قديمة أو شيء ما. إذن يا أخي إذا كنت لا تدري أنها قبيلة أو طائفة أو فرقة فكيف ترضى بأن تُحسب عليها أو تنتمي إليها أو ترفع اسمها شعارًا لك وأنت لا تدري ما هي؟ ولكن هؤلاء معذورون أنا لا أستطيع أن أوجه لومًا لهؤلاء الشباب ولكن اللوم كل اللوم على أمثالي من المشايخ والأساتذة والدعاة ومن إليهم من أولئك الذين يستغلون الأمية الدينية الشائعة فيطرحون ما يشاءون على أنها دين فيقدمون مرةً التاريخ والتراث بكل أشكاله والخرافة في بعض الأحيان ويُحملونها إلى عامة المسلمين وإلى شبابهم وأجيالهم الطالعة لكي يدمروا حاضرهم ويصادروا مستقبلهم بأطروحات تاريخية كان يسعهم أن يقولوا ما قاله القرآن المجيد: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤).

لذلك رأيت لزامًا علي أن أصارح الشباب بكل هذا وأن نفتح الجراح وأن نبين لهؤلاء من هم الشيعة؟، ومن هم السنة؟، ومتى نشأ كلٌ منهما؟، ولماذا نشأ؟، وعلاقة ذلك

بالتاريخ، وعلاقة ذلك بالجغرافيا، وعلاقة ذلك بالإثنيات والصراعات القومية التي نشأت في أوقات مبكرة من تاريخنا. لكي يكونوا على بينة ولكي يكونوا على نور، فمن شاء بعد ذلك أن يكون شيعيًا فليكن، ومن شاء أن يكون سنيًا فليكن؛ ولكن لا نريد صراع، لا نريد اقتتالاً، لا نريد أن نجد مسلمًا يقتل مسلمًا آخر لأنه مخالفٌ له في المذهب أو في الانتماء الطائفي لأن ذلك ليس من الإسلام في شيء، وما جاء الدين ليفرق كلمتنا وما جاء الدين ليجعلنا أحزابًا وطوائف ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، فتفريق الدين وتوزيعه كما توزع أعضاء ذبيحة هذا أمر ليس من الإسلام في شيء وليس من الدين في شيء الله تبارك وتعالى قال﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، أي بكتابه وبما أنزل على رسوله —صلى الله عليه وسلم- جميعًا ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ فلماذا تفرقوا؟، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، هذا الأمر ما كان ينبغي أن يغفل المسلمون عنه ثانية واحدة أن الدين لا يقبل الفرقة ولكن لأسباب سنأتي على ذكرها —إن شاء الله- تفرقت الكلمة، وافترقت الأمة، وأصبحت طوائف وأحزاب وفئات، ووجد من يعلي شأن المذهب والطائفة على الدين كله وعلى الأمة كلها وما أُمروا إلا ليعلوا شأن الدين الواحد أما أن، يعلى شأن المذهب والفرقة والطائفة وما إلى ذلك فهذا أمر طارق.

لذلك أردنا أن تكون هذه السلسلة وسيلة تُذكِر فيها من يتذكر وإن الذكرى تنفع المؤمنين إن شاء الله، نريد أن نذكر بها الناس بوحدة الأمة بألفتها بأن الله ألف بين قلوبها فلماذا تنافرت هذه القلوب، ولماذا تنازعت؟، لِمَ يُفجِرُ السنيّ مسجد الشيعة في باكستان أو في العراق؟، ولِمَ يفجر شيعيٌّ مسجد سنة؟، ألا ينتمي هؤلاء إلى الإسلام؛ ولم يقتل بعضهم بعضا؟ إن كانوا يتقاتلون على تراث وعلى تاريخ فتلك ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وإن كانوا يتقاتلون على أشياء أخرى فذلك أمر نحتاج إلى أن نفهمه.

إذن هذه السلسلة قد تبلغ ما يبلغه مقررٌ دراسيّ حواليّ خمس وأربعين ساعة تعليمية أو خمسين أو قد تتجاوز هذا أو تقل عنه لا يهمني أمر القلة والكثرة، ولا يهمني أمر المستوى

كثيرًا، وإنما يهمني أن نفيّ هذه الموضوعات حقها من البحث فنتبين كل هذه الأمور ونجيب على تساؤلات الشباب.

تساؤلات الشباب الكثيرة نريد أن نجيب عنها، ما هي هذه التساؤلات؟:

تساؤلات تقول: من هم الشيعة ومن هم السنة؟، وما هي الطائفية بكل أنواعها؟، ولم برزت في هذه المنطقة من العالم في العالم الإسلامي؟، ولم لا تزال هذه الطائفية شديدة قوية حية جدعة؟.

كيف نشأت؟ هل أنشأها الدين -الدين يقول ولا تتفرقوا، هل أنشأها السياسة. كيف؟، ومتى، ولم، ولماذا، ما بذورها؟، هل نستطيع أن نصل إليها ونقتلع تلك الجذور ونطمس على تلك البذور لنتخلص منها ما الأسباب الظاهرة والكامنة وراء نشأة الطائفية، وما هي أبرز المعالم في صيرورتها، وما آثارها في وحدة الأمة وتكافلها؟

السؤال الثاني: الذي قد يكون متداولاً بين الشباب يعبر عنه بعضهم وقد لا يعبر البعض الآخر إلا بتصرفات أو بتساؤلات أو حيرة: لم آلت الفرق والمذاهب والطوائف الإسلامية إلى طائفتين شيعة وسنة واختفت وتراجعت الطوائف الأخرى فلم نعد نسمعها إلى قليلاً معتزلة مثلاً مرجئة قدرية أشعرية ماتريدية إلى غير ذلك

السؤال الثالث: إذا كان الخلاف الأساس بين السنة والشيعة والخلاف الأكبر بين الطائفتين قد ارتبط بقضية الإمامة الكبرى فمعلوم أن هذه القضية —قضية الإمامة الكبرى- كانت وما تزال جزءًا من الماضي التاريخي والواقع التاريخي الذي قام عليه والآن لم تعد هناك لا إمامة ولا خلافة ولا شيء من هذا دول قومية وإقليمية ووطنية وليبرالية ومختلطة فيها كل أشكال الحكم التي وجدت في التاريخ ووجد بعضها في الماضي ووجد بعضها في الحاضر ... الخ ونجمت عن أوضاع سياسية متغيرة معروفة فلم لا تزال هذه القضية قضية الإمامة بالذات قائمة وحاضرة بالرغم من جميع التطورات الخطيرة التي حدثت منذ القرن الهجري الأول حتى يومنا هذا وهل لعقيدة المهدي والإيمان بالمهدي كمخلص عند الإمامية أثر في هذا الاستمرار وهل كانت ولاية الفقيه التي ابتكرها الفقه الشيعي في فترة تاريخية سابقة استحياها وجددها السيد الإمام الخوميني ومن انضم إليهم من علماء الشيعة أثر ف

التقليل من آثار ثقافة الانتظار والمنتظر والمخلص في العقل الشيعي الإمامي خاصة أو كان لها أثر أي ولاية الفقية في تكريس ثقافة الانتظار انتظار المخلص وما شاكل ذلك.

سؤال آخر وهو السؤال الرابع: الذي يدور في أذهان الشباب أو يتداول في أوساطهم: لقد تغيرت الدول والسياسات والفكر السياسي نفسه قد تغير كثيرًا لدى المسلمين في الوقت الحاضر عن الوقت الماضي فلم لم تتغير معها ومع ذلك الفكر ثقافة المسلمين السياسية في المنطقة التي انبثقت عن أفكار الإمامة والخلافة؟

إلى اللقاء في حلقة قادمة إن شاء الله نوضح فيها الشرائح المخاطبة في هذه الحلقات في هذه السلسلة والأسئلة التي ستحاول هذه السلسلة أن تجيب عليها. أرجو أن لا تستثقلوا المتابعة وأن تتابعوني في هذا كما أرجو أن أستمع لملاحظاتكم ومقترحاتكم لأن العلم بين اثنين بين سامع ومتلقي.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الصلاة والسلام سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم لقائه، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد،،

الأزمة وطريق الخلاص منها: (٢٣:٠٠)

هذه الحلقة وما قد يأتي بعدها نحاول فيها أن نتناول "الأزمة وطريق الخلاص" إذا كنا قد اتفقنا على أن أمتنا المسلمة بشعوبها ودولها وحكوماتها وأقطارها تعيش حالة أزمة قد يمدها البعض إلى قرون سابقة، وقد يمتد بها البعض تاريخيًا إلى مدى أبعد أو أقل بعدًا فإن هذا أمر لا نريد أن نقف عنده طويلاً لأن الذي يهمنا أن نتفق على أننا الآن في عصرنا الحالي -عام ٢٠١٠م الموافق ١٤٣١ هـ- نعيش حالة أزمة، فإذا اتفقنا على هذا فإن الأزمة تحتاج إلى طريق للخلاص منها، أود أن أقول إن مبدأ وجود أزمة مبدأ عالمي فالعالم كله يصرخ اليوم لأنه في أزمة، سواء العالم المتقدم والعالم الأقل تقدمًا والعالم المتخلف. فللتقدم أزماته وللتخلف أزماته.

"القرآن المجيد" سبيل الخلاص: (٢:٣٢)

ونأتي إلى: ما المخرج من تلك الأزمة؟ وهذا هو السؤال الأهم فقد سلمنا بوجود أزمة وأننا نعيش حالة أزمة، دلونا على ما يخرجنا منها ويعتقنا ويحررنا من إيثارها. أود أن أقول جوابًا جاء به القرآن وجاء به رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم، وذكره الإمام علي -عليه السلام ورضي الله عنه- أنه المخرج الوحيد لنا وللعالم كله من هذه الأزمة هو "القرآن المجيد" هذا على سبيل الإجمال، ولابد لنا من تفصيل ذلك وحينما نقول "القرآن المجيد" فإننا لا نعني بذلك تفسيرات أهل التفسير، ولا فتاوى أهل الفتوى، ولا فقه الفقهاء، وإنما نعني كتاب الله تبارك وتعالى المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس، هذا الكتاب هو المخرج من هذه الأزمة.

عظمة القرآن المجيد: (٢٠: ٤)

لقد أنزل الله –تبارك وتعالى– القرآن المجيد على عبده ورسوله محمدٍ –صلى الله عليه وآله وسلم– وذكر فيه تبيانًا لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين كما في سورة النحل الآية ٨٩ ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾.

ومنذ نزوله ورسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يبين للناس الذي اختلفوا فيه، ويعالج بهذا الكتاب أزماتهم ويجاهدهم به جهادًا كبيرًا ليحملهم على التفكر والتذكر والتلاوة والتدبر والتعقل والترتيل، ليعلم كل مؤمن به سبيل الهدى في أي موضوع من الموضوعات، فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي القرآن سبيل الهدى لمعالجتها كما نص على ذلك الإمام الشافعي وغيره، وليعلم رافضه أنهم كانوا كاذبين في جميع تصوراتهم وأفكارهم ورؤاهم ومعتقداتهم التي انطلقوا منها لرفض القرآن وغلق عقولهم دونه، ليهتدي المؤمنون بهذا القرآن إلى التي هي أقوم فلا يأتي الناس بِمِثْل ولا بحل ولا بمقترح أو معالج إلا جاءهم هذا القرآن بالحق وأحسن تفسيرا، وقدم لهم التي هي أقوم وبَشَّر المؤمنون فهو شفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين يحمل في الوقت نفسه منهجًا يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السلام وهو نور ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ (سورة المائدة: ١٤: ١٥) ويخرجهم من الفتن ويخرجهم من الظلمات إلى النور وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم.

ولذلك فقد توافرت أمتنا منذ جيل التلقي وبدء نزول القرآن على رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– على استجلاء معاني القرآني ومحاولة فهمه، وقد كان رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– شخصًا وقولاً وفعلاً وسلوكًا وتصرفًا وسيرةً ومسيرةً تأويلاً للقرآن الكريم وتفسيرًا لآياته وترجمةً لمنهج إتباعه وكيف يكون ذلك الإتباع. وقد استطاع رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– حينما أوجد جيلاً يؤمن بهذا القرآن ويعتصم به أن يؤلف بين القلوب لا بشيء إلا بهذا القرآن فلم يستخدم المال ولا الجاه ولا الكاريزمية

ولا سواه ولكن هذا القرآن هو الذي ألف بين قلوبهم ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣).

ضرورة استجلاء معاني القرآن المجيد: (٢٠:٩)

وعلماء الأمة، وآل بيت رسول الله، وقراء الصحابة، ومن جاء بعدهم، بذلوا الغالي والنفيس في محاولة الإلمام بمراد الله في كتابه ومعرفة معاني الكتاب وإدراك مقاصده واستجلاء مراميه وغاياته والوصول إلى برد اليقين في فهمه ومعرفة تفسيره وتأويله، فأنتجت الأمة في سبيل ذلك علومًا وفنونًا وأمورًا مختلفة، وجمعت أقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وآثاره وتقريراته وآثار الصحابة وآل البيت وفقههم وتفسيراتهم وتأويلاتهم وفتاوى قراءهم لبلوغ تلك الغايات. ولكن هل أُدْرِكَت معاني القرآن الكريم كما أمر الله -سبحانه وتعالى- أن تدرك عبر العصور؟ نستطيع أن نقول إن مما نأسف له أننا على كثرة ما أنتجنا حول القرآن ومن أجل القرآن لم نستطع استجلاء معانيه بالكيفية التي أمرنا الله -تبارك وتعالى- بها، ولم نستطيع الوصول إلى مراميه وفقًا للمنهج النبوي الذي أصّل له رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وسار عليه في استجلاء معاني هذا القرآن المجيد.

... سميت بال ... فيها اللغة وفيها البلاغة وفيها التفسير وفيها الفقه والأصول والحديث وما إلى ذلك فهل استجليت معاني القرآن؟ نستطيع أن نقول أن ما سقط فيه من سبقنا بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من طول الأمد والإحساس بطول الأمد وما أعقب ذلك من قسوة في القلوب لم تسمح تلك القسوة التي أصابت القلوب بأن يوجد فينا العدد الكافي من المتطهرين الذين يمسون معاني القرآن، والقرآن لا يمسه إلا المطهرون وذووا القلوب السليمة، والقلوب السليمة قلوب نادرة قليلة ولذلك فإن الأمة لم تلبث بعد فترة أن شعرت بقسوة القلوب وتباعدت عن القرآن المجيد وأهملت فيه.

الدليل على أن القرآن المجيد هو المخرج: (٥٠:١٣)

وقد ذكرت من قبل أن المخرج من هذه الفتنة وهذه الأزمة كتاب الله، وقلت أن ما ذكرته لدي عليه أدلة عديدة فكل أسماء القرآن وصفاته تبين لنا هذه الحقيقة الواضحة التي

تدخل في إطار السهل الممتنع ويقول جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت:٥١) أليس كافيًا لهؤلاء هذا الكتاب؟ من لم يكفه هذا الكتاب لمعالجة أزماته وحل مشكلاته فلا كفاه شيء. كيف؟ كيف نعالج أزماتنا وفي مقدمتها هذه الطائفية اللعينة التي تكاد تدمر كل شيء أتت عليه بإذن الشيطان التي لم يسلم منها مسجد ولا حسينية ولا قبر ولا بيت ولا سوق ولا ذَكر ولا أنثى ولا صبي ولا شيخ، ما الذي حدث؟

النظرة العلمانية إلى الكتب السماوية: (١٦:٠٥)

نحن في عصر -تنبهوا لي أيها الشباب- سادت فيه أفكار منها ما يسمى بالليبرالية والعلمانية، وفي إطار العولمة الجارية اليوم هيمنت الاتجاهات الليبرالية والعلمانية على سائر الأنساق الحضارية والثقافية، وفرضت رؤيتها على العالم كله بمستويات مختلفة، ولم تستطيع أمتنا المسلمة أن تكون بمنجاة في نسقها الحضاري والثقافي من ذلك الاختراق. لعل أهم ما يهمنا إبرازه في هذه المناسبة نظرة الليبرالية والعلمانية إلى الكتب المترلة الموحاه لأن هذه النظرة للأسف الشديد قد أصابت نظرة كثير من المسلمين أيضًا إلى القرآن الكريم، فالتوراة والإنجيل الرؤية العلمانية أكدت بشريتها، وأن القول بأن لله وحيًا، وأنزل وحيًا، وأرسل رسلاً، ترى العلمانية أنها من الخرافة وأن هذه التي تسمى بالكتب المقدسة خاصة بالنسبة للتوراة والإنجيل إنما هي كتب مختلقة، فهي أولاً أكدت على أن من صنعها بشر وهم هؤلاء الأنبياء والرسل، فترعت عنها القداسة ونفت أن تكون إلهية المصدر، ثم وصفتها بأنها كتب دينية حتى لو سلمنا جدلاً فهي تتعلق بالآخرة لا تتعلق بالدنيا، فهي دينية عندهم بمفهوم لاهوتية، وهكذا حيدوا هذه الكتب ولم يعد لها تأثير واستبيح حماها وأعطي لمن يريد أن ينقدها يفعل فيها ما يشاء أن يفعل ما يريد، وأن ينفي وجود الأنبياء ويعتبر سيدنا موسى أو سيدنا عيسى أو غيرهما شخصيات خرافية لم يكن لها وجود تاريخي هذا كله كلاً مباح.

المؤامرة حول القرآن المجيد: (١٩:٢٦)

هذه الرؤية للأسف الشديد هيمنت على فئات من أبناء الأمة المسلمة –جلها– من أهل السلطان بأنواعها، فالنخب الحاكمة والمتعلمة في بلاد المسلمين تبنت أغلبيتها هذه الرؤية بمستويات مختلفة، في ظل هذه الرؤية تعدد ما يسمى بالقراءات، فالقرآن يمكن أن يقرأ قراءة اشتراكية وقراءة يسارية وقراءة يمينية وقراءة ليبرالية وقراءة علمانية وما إلى ذلك.

فإذا كانت الأديان هناك قد تم تحييدها بشكل أو بآخر وتوظيفها عند السياسة فالتبشير قد يخدم الاستعمار، والاستعمار قد يلقي بفتات للتبشير بشكل أو بآخر فهذه الرؤية قد انتشرت في بلاد المسلمين.

إن محاولة إخضاع القرآن لمثل ما خضعت له الكتب المقدسة التي سميت بالكتب المقدسة الأخرى هي المؤامرة التي نواجهها اليوم ولابد أن نتصدى لها فلقد كثر الذين يريدون أن يقرؤا القرآن بمثل ما قرأ أولئك المفكرون المنحرفون من الغربيين كتبهم الدينية من توراة وإنجيل هؤلاء الذين يريدون أن يخضعوا القرآن لذات مناهج التفكير التي استخدمها هؤلاء ففككوا تلك الكتب نحن نعيذ أنفسنا ونعيذكم من أن يحققوا أغراضهم ولعل الله –سبحانه وتعالى– قادر على أن يكبتهم بما كسبوا ويزيل شرورهم عنا وعن القرآن المجيد.

تحريف الكتب السماوية: (٢٢:٤٢)

لقد ظهرت في أهل الكتاب في الغرب من يهود ونصارى مدارس عديدة اهتمت بتفكيك الكتب الدينية ونقدها وأسسوا للنقد مدارس عديدة وبنوا لها معارف متنوعة لكل منها أساليبها ومناهجها في النقد والتفكيك، وعملوا فيها معاول الهدم المختلفة حتى جعلوها ... ولم يعد بعد كل ما فعلوه فيها لها من خصائصها الأولى شيء يذكر وكل ما فعلوه لم يمكنهم من تمييز ما هو صادق ويعدّ حقًا مما أوحي إلى موسى وعيسى وما هو كاذب يعد مما نسب إليهم أو إليهما زورًا وبهتانًا.

نحن قد نتفق مع نقاد العهدين القديم والجديد بأنه قد وقع تحريف صحيح في كل من الكتابين وأن النقد الحديث قد أثبت هذا التحريف وقد نتفق معه في بعضه ولكن هل هذا

يعني أننا نزيل القداسة عن جميع الكتب التوراة والإنجيل ثم القرآن ونبعدها عن التداول وعن التأثير؟

حفظ القرآن مما تعرضت له الكتب السماوية: (٥٣:٢٤)

إن القرآن بفضل الله لم يتعرض لمثل ما تعرض له الكتابان لأسباب كثيرة قد يطول شرحها وقد يكون من المفيد أن نبين شيئًا من ذلك إننا نرفض أولاً أن يجري التعامل مع القرآن الكريم من قبل هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بمفكرين مسلمين فقط لأنهم يحملون أسماء إسلامية أو عاشوا في إطار الكيان الاجتماعي الإسلامي أن يخضعوا القرآن لمثل ما خضعت له الكتب الأخرى مهما كانت الأسباب لأن النتائج التي تمخضت عن ذلك النقد في الغرب كانت نتائج موجعة تحملها الغرب لوجود شيء من الأسس الأخرى استطاع أن يستند إليها في حين أننا ليس لدينا أسس أخرى وليس لدينا بدائل عن هذا الكتاب الكريم يمكن أن تحافظ على حضارتنا، على أنساقنا الثقافية، على كياننا لو لا سمح الله انقطعت صلتنا بهذا الكتاب

العهد القديم: (٤٤:٢٦)

العهد القديم أو "تناخ" كما يسمونه عبارة عن مجموعة من الأسفار جمعها رجال المجمع الأكبر الذي تأسس لدى اليهود عقب العودة من السبي البابلي وقد تألف المجتمع الأكبر هذا من ١٢٠ عضوًا أخذوا على عاتقهم النظر في شئون الشعب اليهودي فوضعوا الصلوات اليومية وكان المجتمع مؤلفًا من مشاهير أحبارهم مثل: عزرا وابن حمية وزوروبابل ودانيال وحجاي وزكريا وملاخي ومردخاي وغيرهم هؤلاء جمعوا ما جاء به عزرا من الأسفار المتبقية وأضافوا إليها مقررات المجمع المذكور عام أربعمائة وأربعة وأربعون قبل ميلاد السيد المسيح، وصارت تعرف بينهم بشريعة موسى ومجموع أسفارها أربعة وعشرون سفرًا والحقيقة فإن مجموعة الأسفار تسعة وثلاثون ولا يعترف السامريون إلا بسبعة منهم، ويضم العهد القديم عند أتباع الكنيستين الكاثوليكية الغربية والأرثوذكسية الشرقية قسمًا رابعًا يعرف باسم "المنحولات"، والتوراة هي القسم الأول من العهد القديم

وإلى اللقاء في حلقة قادمة لنستكمل هذا الذي نريد أن نبين أننا لا نريد من شبابنا أن يستمع أو يعطي آذانًا صاغية لتلك الأصوات التي تحاول أن تنقل ما قيل في العهدين القديم والجديد لتسقطه على القرآن المجيد وتفصل ما بيننا وبينها.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين. في الحلقة السابقة حاولت أن أتعرض إلى ما حدث من عمليات تفكيك للكتب الدينية للأمم الأخرى، والآثار الكارثية التي أدت إليها عمليات التفكيك تلك، ونظرًا لطول الموضوع لم أرد أن أسترسل فيه فأشرت إشارات إلى أن تفكيك التوراة أدى إلى التغيير في ترتيبها وفي كتبها بإضافة بعض الكتب وحذف البعض الآخر أو تجاهله، وهكذا حدث بالنسبة للعهد الجديد أو بالنسبة للإنجيل. المهم لا نريد أن نسترسل في هذه المسائل الخلافية التي لها مراجعها ولها مصادرها وهي كثيرة باللغات المختلفة ومنها ما قد ترجم إلى العربية ومنها ما يزال باللغات الغربية ويمكن للراغبين بالتتبع والإطلاع على آثار التفكيك أن يتابعوا ذلك.

يَهُمني أن أقول بأن هذا التفكيك وهذا النقد قد أدى إلى إنكار كثير من المسلمات الموجودة في تلك الكتب بحيث تجرأ النقاد وقالوا بأن شخصية سيدنا موسى وإنقاذه لشعب إسرائيل من فرعون وقومه وعبور البحر وكل هذه؛ هذه أمور لم تثبت تاريخيًا ولا دليل على صدقها ولا على صحتها، وأما موسى فهو مجرد أمير فرعوني قد يكون أبدى بعض التعاطف مع الشعب الإسرائيلي باعتباره شعبًا مضطهدًا لكن ليس إلى هذا الحد. وقِسمٌ منهم كتب حتى في مجلات مثل Time أو غيرها بأنه شخصية خرافية لا وجود حقيقي أو تاريخيّ لها وكذلك الحال بالنسبة للسيد المسيح أيضًا أنكر بعضهم وجوده التاريخي.

هناك فئة من كتاب المسلمين قرءوا ذلك التراث وحاولوا أن يعملوا معامله أولئك، ويقلدوا أساتذتهم من أهل الكتاب والمشركين الذين منحوهم تلك الألقاب – ألقاب المفكر الإسلامي، مفكرين مسلمين– ليوظفوا ما يقولونه في عمليات التعامل اللامسئول مع القرآن الكريم، هؤلاء استعاروا من أساتذتهم الغربيين من

مستشرقين وسواهم من الذين قاموا بتفكيك كتبهم المقدسة وأحدثوا أفظع الآثار وأفدحها -السلبية- في دياناتهم وفي مجتمعاتهم، فحاول هؤلاء أن يسقطوا تلك المقولات المترجمة على الكتاب العزيز على القرآن الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢)، فجاءت مقولاتهم تافهة ومتهافتة لأنهم قاسوا القرآن على العهدين متجاهلين الفروق التي لا تُحصى بينه وبينهما لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء دراسة تلك الكتب والقرآن الكريم والمقارنة بينها في أمور كلية أو جزئية والشكل الذي تستحقه، فإذا كنا نؤكد على ضرورة بناء مناهج علمية دقيقة للتعامل مع القرآن المجيد فإننا نؤكد على ذلك لنحول بين القرآن المجيد وبين أولئك الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله والقيام بعملية تفكيكه بذات الطريقة التي فعلها أساتذتهم من مستشرقين وسواهم.

قلنا أن القرآن المجيد لمشكلتنا، وقلت في حلقة سابقة بأنه -هذا كلام لم أقله أنا، هذا صحيح- قاله الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان: ٣٣)، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١) وسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قد روي عنه حديث شريف رواه الإمام علي -عليه السلام- وهو مما رواه السيد الإمام أبو طالب والحافظ المحدّث أبو عيسى الترمذي في جامعه من حديث الحارث بن عبد الله الهمذاني صاحب عليٍّ عليه السلام قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليٍّ عليه السلام، فأخبرته بأن الناس منشغلون بالأحاديث عن القرآن، فقال: أوقد فعلوها -يعني شغلوا بشيءٍ غير القرآن عنه حتى ولو كان الحديث يروونه عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لا يريدون أحدًا أن ينشغل عن القرآن، قلت: نعم، قال -أي عليّ رضي الله عنه: أما أني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: ألا إنها ستكون فتنة -نحن نقول أزمة والأزمة والفتنة متقاربان من حيث المعنى، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله، قال: كتاب الله. ليس المخرج أيُّ كتاب، أيُّ تراث، أيُّ أطروحات معاصرة أو قديمة، ولكن كتاب الله على وجه التحديد. لماذا؟ فيه نبأ ما

قبلكم -يعطيكم أخبار العالم كله من قبلكم وأخبار جميع الأمم- فتعرفون الدروس والعبر وتستخلصونَ الدروس والعبر من تلك الأخبار، وخبر ما بعدكم -من يأتي بعدكم أيضًا تجدون شيئًا من أخباره في هذا القرآن فهو يربط بين الماضي والحاضر وبالتالي يمكن من استشراف المستقبل وحسن قراءته، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله أيًا كان؛ عالم يعرض عنه ويشتغل بأي شيء ويقول هذا علم وهذا دين وهذا كذا -من تركه من جبار قصمه الله، حاكم ينصرف عنه كل هؤلاء يعدون في الجبابرة إذا أعرضوا عن كتاب الله وانشغلوا بما سواه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله -الذي يحاول أن يبحث عن الحلول وعن سبيل الهدى والرشاد في غير هذا الكتاب يضل ويتيه، أضله الله، وهو -أي القرآن- حبل الله المتين ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وهو الذكر الحكيم فهو حكيم وذكر حكيم ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾(ص: ١)، ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يس: ١-٢) وهو الصراط المستقيم ﴿اهدنا الصراط﴾ المستقيم -صراط القرآن- هو الذي يؤدي إلى فوز الفائزين، إلى أن يكون الإنسان من بين أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء مهما كان الناس أهل أهواء وميول مختلفة واتجاهات متعددة فإنهم لن يستطيعوا أن يزيغوا بهذا القرآن؛ بل القرآن هو الذي يهديهم ويوصلهم إلى الصراط المستقيم، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد، مهما قرأته تجده جديدًا لا تشعر بأن هذه السورة -سورة الفاتحة نقرأها يومًا إذا صلينا الفرائض وحدها سبع عشرة مرة ولكن في كل مرة تقرؤها لا تشعر بأنك قد قرأتها في كل هذا العدد، ولو قرأ الإنسان أي شيء بمثل هذه الأرقام لمله ولكن القرآن لا يُمل، ولا تنقضي عجائبه نأخذ منه معاني كثيرة، ولكن هل نستطيع أن نستنزف هذه المعاني ونزعم أننا أحطنا بها. لا. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ هذا هو موقف الجن وهم مخلوق آخر خلقوا من نار وخلقنا من طين يسمعون القرآن فيقولون ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى

الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ (الجن: ١-٢)، من قال به صدق أي شيء تقوله يحتمل الصدق أو الكذب؛ ولكن من قال بالقرآن لا يحتمل إلا الصدق فمن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل.

هذا الحديث سواءٌ أكان حديثًا نبويًا مرفوعًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- كما هو عند الإمام أبي طالب والترمذي وصاحب جامع السعادات وغيرهم، أو كان أثرًا قاله الإمام عليٌ -رضي الله عنه- فإنه في غاية الأهمية وإنه يعطينا جوابًا شافيًا على هذا السؤال الهام جدًا: كيف نخرج من أزماتنا، وكيف نتجاوز مشكلاتنا؟

نعم اتفقنا أننا في أزمة، واتفقنا أن هناك مشكلة وأنه لابد لنا من الخروج منها، ولكن ما المخرج منها؟ هذا الحديث يجيبنا ويبين الأسباب؛ المخرج منها هو القرآن الكريم للأسباب التي ذكرها: فيه خبر من قبلنا، نبأ من بعدنا، حكم ما بيننا..الخ، ولذلك قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١) فإذن هذا القرآن الكريم هو المخرج تمامًا من هذه الأزمة، وهو المنقذ من هذه الفتن التي نعيش فيها ومنها فتنة الطائفية المقيتة التي نعاني منها، وإذا كان القرآن هو المخرج منها فالقرآن كتاب الله، القرآن كلام الله، القرآن ليس فيه اختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، القرآن لا ريب فيه أو في أي شيء منه ﴿الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: ١-٢)، القرآن هدىً لمن اتبعه وأخذ به وتمسك به، القرآن من حكم به عدَل ومن تنكب سبيله فقد طغى، القرآن إذن هو المرجعية العليا لا مرجعية عليا سواه، هو الذي ينبغي أن يحكم بيننا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١)، القرآن المجيد مرجعيتنا فهل يحق لمسلمٍ خاصة الشباب أن يستمر على ما وجد عليه آبائه وأهله فيقول إن أبي كان يُقلد فلانًا من المذاهب السنية أو فلانًا من المراجع الشيعية أو فلانًا أو علانًا وأنا على آثاره سائر فلا يلتفت إلى القرآن؟ لا. لا ينبغي أن يكون ذلك ولا ينبغي أن يقع هذا.

القرآن الكريم صدونا عنه، شغلونا بمختلف القضايا شُغِل السنة بالحديث وبالفقه وبالأصول وبالتفسير وما إليه، وشُغِل الشيعة بمثل ذلك وبالقصص عن آل البيت وشُغِلوا كذلك العزاء والاحتفال بميلاد فلان ويوم فلان وعزاء فلان إلى غير ذلك وما خلقنا الله سبحانه وتعالى ولا جعلنا مسلمين ولا بعث رسول الله إلينا ولا أنزل فينا القرآن من أجل أن نكون بهذا الشكل، ولكنه -جل شأنه- أنزل القرآن وبعث رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وسمانا "المسلمين" وأمرنا بأن نكون أمة مسلمة له -جل شأنه- وأمرنا بأن نلتزم بملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين من أجل أن نكون عبادًا لله جل شأنه لا عبادًا لأهوائنا وشهواتنا ولا لتقديس آبائنا ومن نقلدهم، ولكن انحرفنا عن القرآن وتجاوزناه وتمسكنا أو تشبثنا بتقليد هذا الإمام أو ذاك حيًا أو ميتًا، الشيعة لا يقلدون الأموات فيتخذون مراجع أحياء، والسنة يقلدون الأموات فاتخذوا المذاهب الأربعة واتخذ الآخرون مذاهب أخرى وهكذا، ولكن أين التشيع العلوي؟ وأين التسنن أي اتباع سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم؟ هذه أمور على ما يبدو أننا تنكبنا سبيلها، وغفلنا عنها أو تغافلنا بشكل أو بآخر. قيل لنا إن القرآن الكريم صعب ولا يمكن لإنسانٍ عاديٍ أن يرجع إلى القرآن لابد أن يكون بينه وبين القرآن جملةً من الوسائط -مفسرون محدثون مراجع علماء مشايخ- وذلك ما فعله أهل الكتاب فقطعوا صلتهم بكتبهم وأصبحت كتبهم فقط ميدانًا لنظر من عرفوا بالأحبار والرهبان، وأيضًا بالنسبة لنا هجرنا القرآن وجعلناه كتابًا لأمواتنا لا لأحيائنا ولآخرتنا لا لدنيانا؛ لا ليقود حركتنا لا ليوجه حركة التاريخ فينا بل لنترحم به على أمواتنا ونزجي به الوقت في تعازينا ومجالس الفواتح والتعازي عندما يموت لنا ميت وهكذا؛ وما أمرنا بذلك بل أمرنا أن نجعل هذا القرآن قائدنا إلى كل خير. وقد علمنا أن أزماتنا هذه ومنها الأزمة الطائفية لا معالج لها ولا مخرج منها إلا القرآن المجيد فهو الوحيد الكتاب الذي يتفق السني والشيعي على صحته وعلى الإيمان به من الفاتحة إلى الناس وعلى أنه لم يتعرض لزيادة أو نقص أو تحريف أو ما إلى ذلك. أما الفقه أما الأصول حتى الأحاديث فتجد الناس مختلفين فيها.

فنريد أن ننطلق أيها الشباب من أمرٍ نحن متفقون عليه ومرجعيةٍ نحن متفقون عليها وأصلٍ نرجعُ إليه كلنا وما بين أيدينا شيء يحمل هذه المواصفات إلا القرآن الكريم إلا هذا الكتاب الكوني، فهذا الكتاب هو المُخرِج لنا من الفتن إن عرفنا كيف نعتصم به، وكيف نتمسك به، وكيف نجعله إمامنا ومرجعينا العليا، قالوا لنا اذهبوا إلى العلماء اذهبوا إلى المفسرين لا تذهبوا إلى القرآن مباشرة، ولكن الله تبارك وتعالى يقول لنا: ﴿أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، ويقول لنا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧)، ويقول لنا جل شأنه: ﴿إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، ويخاطبنا جميعًا به ﴿يَا أيُّهَا النَّاسُ﴾ فلماذا يصدوننا عن القرآن ويحاولون أن يستفردوا كما يقال بعقولنا وقلوبنا وأذهاننا وقوى وعينا ليصبوا بها ما يشاءوا.

إن القرآن الكريم ميسر للذكر كما قال جل شأنه يسره الله بلسان نبيه يستطيع أي من الناس أن يرجع إليه لما يسره الله فيه. نعم يختلف الناس بعلومهم ومعارفهم وفقههم ومستوياتهم العقلية والذهنية بعضهم عن البعض الآخر فهناك آيات قد لا تفهمها لابد أن يعد المسلم نفسه بمستوىً من مستويات الوعي ويأخذ بعض الأدوات لكي يستطيع أن يقرأ القرآن قراءةً سليمة قراءةً صحيحة ويبني بالقرآن عقله ووعيه وذهنه ونفسه، ويمارس قراءته بشكل سليم والقرآن المجيد نفسه فيه القدرة على أن يعينك؛ يعني حينما نزل القرآن على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال أول كلمة: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١) ﴿ قْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ ﴾ (العلق: ٣) فأنت حينما تأتي للقرآن مخلصًا بقلبٍ طاهر سليم بقلبٍ مقبل على القرآن مفتقرٍ إليه يعلن فاقته وفقره لله -جل شأنه- وأنه جاء جاهلاً ليتعلم فإن القرآن سينفتح عليه، والقرآن يفسر بعضه بعضا لأن القرآن فيه ما سماه القرآن نفسه إحكامٌ وتفصيل ففي موقعٍ ترى آياتٍ قد أحكِم بنائُها فكأنها بناء مُصمِت وفي موضعٍ آخر تراها مفصلة ترى لها تفصيلاً يزيل الإجمال ويبين ويوضح ويقدم شيئًا من تفسير، لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا فكيف يفعل القرآن هذا، وكيف يفسر بعضه بعضا، وكيف علمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نستنطق

القرآن ونتعلم منه؟ سنحاول أن نجيب على هذه الأسئلة في اللقاءات القادمة بإذن الله.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

حاولت أن أبين الشريحة المقصودة في هذه السلسلة، شريحة الشباب، أنا لا أوجه خطابي إلى المراجع ورجال الحوزات والعلماء الكبار ومن يحملون الألقاب لأن هؤلاء أظن ما أقوله بالنسبة لهم من البديهيات وكثير من هؤلاء قد شاركوا واشتركوا في مؤسسات عرفت بمجامع التقريب في أوائل القرن الماضي الشيخ القمني يرحمه الله هاجر إلى مصر وسكن هناك وبدأ اتصالاته بعلماء مصر ومشايخها فاتصل بالمشايخ أمثال: البشري -رحمه الله- شيخ الأزهر، المراغي، الشيخ محمود شلتوت، الشيخ حسن البنا، رشيد رضا -يرحم الله الجميع، وأسس واتخذ له مركزًا ومقرًا صار بمثابة المثابة لهؤلاء المشايخ ولمن يتصل بهم من أهل العلم في الأزهر وكانت النتيجة أن تمخضت كل تلك الجهود التقريبية بين الشيعة والسنة أن اعترف الأزهر بالمذهب الشيعي -الشيعي الإمامي بالذات- باعتباره مذهبًا من مذاهب المسلمين وأنه يمكن للأزهر أن يدرس هذا المذهب كما يدرس المذاهب السنة، وبالفعل في عهد الشيخ شلتوت -يرحمه الله- أدخل المذهب الجعفري ليكون خامس المذاهب الأربعة التي تدرس في الأزهر، وجاء بعض العلماء من إيران ومن النجف وحاضروا لفترة من الفترات وتفاعل البعض بأن جهود التقريب هذه سوف تتمخض عن شيء، ولكن عندما نلحظ الواقع لم نجد تغيرًا يذكر لا في واقع مواقف السنة من الشيعة ولا في واقع مواقف الشيعة من السنة. وبعد انتصار الثورة في إيران تقرر تشكيل مجمع تقريب وأتشرف بأنني دعيت إلى عضوية اللجنة العليا فيه وحضرت بعض اجتماعاتها وقدمت بعض المقترحات التي لم تجد طريقها إلى التنفيذ؛ مقترحات جادة.

الذي حدث أن دعوات التقريب دائمًا نحبطها بأننا نظن أن التقريب بأن أشرح نفسي بوصفي مثلاً سنيًا لإخوتي من الشيعة وعليهم أن يفهموني وإذا فهموني فأنا غير مطالب بأن أغير شيء مما أنا عليه فإما أن ينضموا إلى ويصبحوا مثلي فيما أرى وفيما أتمذهب وفيما أقول وفيما أمارس وإلا فكلٌ في موقعه، ونقبل لحى بعضنا ونسلم ولا يوجد فرق ونحن إخوة ثم كأنه لا شيء قد حدث.

كنت أقدم مقترحات ودراسات وآخذ الأمر بمنتهى الجدية من حيث تنقية التراث من كل تلك البذور، محاولة بيان المتفق عليه من قضايا العقيدة وإذا كان هناك شيء مختلف فيه فعلينا أن نضعه على الطاولة ونقوم بدراسته والتداول حوله ومناقشته لمعرفة المقبول والمرفوض وإما أن يعذر بعضنا بعضًا آنذاك وإما أن نصل إلى تفاهم أو توافق أو اتفاق أو أي شيء. ولكن أن أبقى أظن بك الظنون وتظن بي الظنون وتتكتم على ما تراه في، وأتكتم أنا على ما أراه فيك ولكن كل منا كما يقال في داخل نفسه يكاد يحرق الأرم -كما يقولون- على الآخر، وهذا لا يجوز ولا يصح ولا يقبل بأي حال من الأحوال فحينما التقينا في مجامع التقريب شعرت بافتقاد الجدية المطلوبة. أن الجدية أن نكون جميعًا قد قررنا أن نعيد لهذه الأمة وحدتها مهما كلفنا ذلك من دراسات وبحوث وتصحيحات ومراجعة تراث إلى غير ذلك. أما أن نقول أننا نريد التقريب ونريد أن نعود إلى وحدتنا وألفتنا ويحب بعضنا بعضًا ثم لا نفعل شيئًا في تراث ورثناه وقد عمق الفجوة بيننا وصنع وخلق ثقافة فرقة، ثقافة اختلاف، ثقافة نزاع، ثقافة تعبئة واستعدادٍ للتصادم.

فهناك من يرى أن هذا الأخ السني ناصبي يناصب آل البيت العداء ويبني موقفه على هذه الفرضية الخاطئة في حين أن هذا السني لا يقل حبًا لآل البيت عنه هو ويأتي الثاني ويقول أن هؤلاء رفضوا الصحابة آراءً وفقهًا وكلامًا وعقيدة وروايات وشريعة وكفروهم ما عدا ثمانية فهذا لا يقبل. كان الكثيرون يشيعون بأن لدى إخواننا الشيعة قرآنًا غير القرآن الذي بين أيدي المسلمين ألا وهو "المصحف الإمام" الذي جمع في عهد سيدنا عثمان وقد تحرينا هذه المسألة وتتبعناها في تراثهم وفي مجامعهم فلم أجد أحدًا إلا كتابًا صدر منذ فترة طويلة عن واحد شخص فرد ليس من المراجع ولم يقلده أحد كتب كتابًا الكتاب عنوانه على ما أذكر "الصواب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" وجاء بمجموعة أخبار وآثار ضعيفة فيما يتعلق بالنسخ وهي أحاديث موجودة لدى السنة يدرسونها في علوم القرآن ويدرسونها في أصول الفقه وقد عالجتها جميعًا في كتابي "نحو موقف قرآني من النسخ" وبينت ضعف كل منها وتهافته والعيوب الحديثية التي في

أسانيدها وفي متونها ولم يثبت عندي واحد منه، لكن الرجل اللا أدري ظروفه ولا أدري من هو ولا أدري لماذا الرجل يبدو أنه اطلع على هذه الروايات وضم إليها بعض أخبار تاريخية وآثار مكذوبة وموضوعة ولم يثبت شيء منها وكتب هذا. فقط لأن هذا الرجل كان ينتمي بالمصادفة أو بالعمد إلى الطائفة الشيعية قيل أن الشيعة يرون أن لديهم قرآنًا آخر يسمونه "مصحف فاطمة" يقولون بأن هناك سورة اسمها سورة الولاية نزعت منه وأعيدت إليه وأن هناك ... الخ، وحينما فحصنا ووجدنا كبار الأئمة وكبار المراجع وكبار العلماء يؤكدون بأنه لا يعترفون بشيء أنه القرآن إلا ما بين الدفتين الذي يتداوله المسلمون كافة وهو ما يسميه الناس بـــ "المصحف الإمام" الذي جمع في عهد سيدنا عثمان وبإشرافه ولكن قاتل الله الجهل، قاتل الله الذين لا يأخذون بـــ "تبينوا" "تثبتوا" حاولوا أن تعرفوا الحقائق ولا تنصرفوا وراء ذلك.

وأيضًا نجـــد في المقابل أن هـــناك من يتهم السنة بـــأن لديهم أقوالا في الإمـــــام عـــلي -كرم الله وجهه- يأخذون من التراث الناصبي ومن المؤسف أننا أبناء هذه المرحلة وهذه المنطقة بالذات المنطقة العربية حينما وقعت الحرب المؤسفة بين العراق بقيادة الراحل صدام حسين وبين إيران بقيادة الخميني حينما حدثت هذه الحرب واستمرت ثمانية سنين استحيي التراث الطائفي المتشدد الناصبي من قبل الأجهزة العاملة بإمرة الراحل صدام ونفض عنه الغبار وبدأت تنشر أمور لم يكن هذا الجيل على وعي بها ولا يعرفه ولكن نبشت القبور وبعثر ما في الصدور وأخرج هذا التراث كله ونشر على أنه هذا هو الشيعة وهذا هو المذهب الشيعي وهذا هو التراث الشيعي ...الخ لتنمية الكراهية ضد إيران ولتعبئة الناس في تلك المعركة ولم يحسب أي من الطرفين، أيضًا إيران بدأت تنفض الغبار عن كل ما قيل عن النواصب وترمي بها خصومها ومن يحاربونها طبعًا هذا رد فعل نستطيع أن نعتبره عادي على مستوى الناس الذين يتقاتلون ولا يأخذون بما يقوله القرآن ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي أنهم لا يحسبون حسابًا للمستقبل وأن الأزمة القائمة هي ليست أزمة دائمة وإنما أزمة

ستزول فليس لأحد أن يعمقها وأن يضع كل ما لديه من طاقة في تلك الأزمة لأنه لابد لها من نهاية، ولابد أن تعود الأمور إلى مجاريها وإيران ستبقى في موقعها لن يستطيع أحدٌ اقتلاعها إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسماوات إلى يوم القيامة ستبقى بيننا وسيبقى العرب في الخليج وفي العراق وفي السعودية وفي غيرها بجوار إيران لن يستطيع أحد يزيل العرب من المنطقة حتى تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ما دام الأمر كذلك فلماذا نبحث عن وسائل العداء والتعبئة والصراع والتمزيق وما إلى ذلك ونهمل وسائل الألفة والتسامح والتعاون والتآخي وأن نجعل من أنفسنا يدًا واحدة وبدلاً من أن تمتلئ المياه بالأساطيل الأجنبية وتزدهر صناعة السلاح لتكدس وتؤخذ أموالنا وأموال بترولنا ونُعْطَى هذه الخردة لنخزنها لأنه يخوفون بعضنا بالبعض الآخر بدلاً من ذلك كله لم لا نعيش بسلام بإخاء بتعاون دون أن نفرق ديننا ونصبح شيعًا وأحزابًا، ونستمتع بخيرات بلادنا وبدلاً من أن تنفق على أسلحة الدمار تنفق على فقرائنا فبلداننا مليء بالفقراء والمعوزين فعالمنا الإسلامي ضرب الأرقام القياسية في النزول عن خط الفقر، عالمنا الإسلامي فيه بلدان مسلمان يموت الناس فيهما من الجوع هما: مالي في أفريقيا، وبنجلادش في آسيا وهذا أمر معروف وإحصاءات الأمم المتحدة تشير إليه وتعرف به فلماذا لا نحاول أن نكرس جهودنا للتآخي والتعاون ومحاولة احتواء هذه الأمور بدلاً من أن ننفقها في هذه المجالات.

على كل حال هذه الشريحة العُلمائية وغيرها لم تستطع مع محاولات طيبة ومخلصة وجادة لاشك ولكن كان ينبغي أن تكن أكثر دقة وتكون أعمق وأكثر جدية في الغوص على أعماق وجذور المشكلات وأسباب الاختلاف لم يحدث هذا ولكننا في حاجة لأن يحدث لأن يقع فإذا لم يقع من الكبار ورجال الحوزات ورجال المدارس الدينية والأزهر والجامعات الإسلامية في كل مكان -وما شاء الله أعدادها كثيرة جدًا- ولم يستطع أهل العمائم سوداء أو بيضاء أو خضراء أو أي شكل كان أن يقوموا بشيء في هذا المجال، فلا أقل من أن يعي الشباب وأن يرتقي

وعيهم بحقيقة المشكلة ولكي يرتقي وعي الشباب سوف نحاول أن نطرح هذه المسائل ونجيب عليها.

كنت قد توقفت في الحلقة السابقة عند:

السؤال الرابع"وقلت فيه: لقد تغيرت الدول والسياسات والفكر السياسي نفسه تغير لدى المسلمين سنتهم وشيعتهم فلم لم تتغير معها ثقافة المسلمين السياسية خاصة في منطقتنا العربية هذه التي انبثقت عن أفكار الإمامة والخلافة فثقافة المسلمين السياسية التي تحتاج إلى مراجعة هي تلك الثقافة التي انبثقت عن أفكار الإمامة والخلافة، هل لوجود سند من الدين لهذين المفهومين من الإمامة والخلافة، وهل يقدم القرآن أي دليل لدعم رؤية هذه الطائفة أو تلك في الإمامة أو الخلافة، وهل السنة النبوية والسيرة النبوية المطهرة هل فيهما ما يؤيد رؤية هذه الطائفة أو تلك في هذا المجال؟ هذا سؤال من الأسئلة التي سنناقشها في هذه السلسلة.

السؤال الخامس: كيف يمكن تحقيق تعايش سلمي بين الطائفتين وحالات التسامح لا تسمح بظهور تلك الفضائح التي نشهدها كل يوم في العراق وفي اليمن على حدود السعودية والباكستان وأفغانستان وإيران في بعض الأحيان وأماكن أخرى؟

سؤال سادس: عبر التاريخ كان الاستعداد لدى الطائفتين لاستعمال العنف ضد كل منهما من الآخر قائمًا لماذا؟ يكفي استعمال أية مثيرات صغيرة لتفجير العنف وإشعال نار الفتنة أو فتن كبرى بين الطائفتين كما نشاهد خاصةً الآن في الباكستان وفي العراق ما أسباب ذلك؟ كيف وجدت هذه التعبئة وما وسائل التخلص من هذه التعبئة المستمرة لدى الفريقين؟.

السؤال السابع: من المعروف أن أسباب الاحتقان الطائفي الذي نشعر به ونحسه ونكتوي بناره ونخشى على بقية بلداننا في الخليج في المملكة نسأل الله أن يحفظ الجميع أن تتفجر فيها في أي لحظة مثل هذه المشكلات، في أسباب الاحتقان الطائفي هناك ما هو سياسي –نعم لا ينكر هذا– علينا أن نرصده ونعرف ما هو

وكيف يعالج على مستوى الفكر السياسي وعلى مستوى الممارسة السياسية والإجراءات، وهناك ما هو ديني وأيضًا علينا أن نرصده وأن نغوص وراء جذوره لكي نكتشفه ونعالجه بما علمنا القرآن الكريم وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تركنا على المحجة البيضاء نعالج ذلك، وهناك ما هو مذهبي نريد أن نعرف كيف حدث، من هم الأئمة الذين قالوا به، لما تبنوه، كيف تبنوه، إلى غير ذلك؟، كيف نستطيع توزيع المسئولية عن أزمة الاحتقان الطائفي بالذات بين هذه الأسباب وغيرها إن وجدت؟

السؤال الثامن: هناك ما عرف بالتشيع العلوي والتشيع الصفوي كيف نتبين معالم كل منهما، ونضع الخطوط الفاصلة بين التشيعين وهل التشيع السائد في المنطقة العربية تشيع علوي أم تشيع صفوي وهل التشيع القائم في إيران تشيع علوي أم تشيع صفوي، وهل بذلت الثورة جهدًا يذكر في جعل التشيع القائم في إيران تشيعًا علويًا أم لا؟

سؤال آخر: الفترة التاريخية التي نشأ فيها النواصب وقد ذكرتهم والروافض أزعم أن النواصب قد اختفت، وأن أي شخص يثبت أنه يناصب آل البيت العداء هذا كأنه يعلن خروجه عن الملة ما من إنسان مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكره آل البيت أو يناصبهم العداء فإذن لم يعد عندنا حاجة لأن نستحي تراث النواصب وما شاكله وكذلك موضوع الروافض يحتاج إلى معالجة ويحتاج من إخواننا أهل العلم في الحوزات أن يقولوا كلمتهم في هذا الأمر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهم قراء الصحابة (خمس وستون ومائة) حفظة القرآن الكريم شاهدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقرءوا عليه، هم الذين كانوا يحملوا القرآن إلى الآخرين منهم أهل الصفة هؤلاء من الصعب جدًا أن يقبل من أحدٍ أن لا يكتفي برفضهم ومعهم بعض أمهات المؤمنين وفي مقدمتهن أُمنا عائشة -رضي الله عنها- لا يقبل من أحد أن يرفضهم

أو يتحدث عن ردتهم نعم هناك في القرآن الكريم آيات تقول ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فهناك منافقون وهناك أناس ارتدوا ولاشك في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعده، ولكن جمهرة الصحابة غالبيتهم وعامتهم الذين توفي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو عنهم راض من الصعب جدًا أن ...

وأن يقال ويمكن أن يقال نحن لا نقول بعدالة الصحابة على الإطلاق ولكن الصحابة الذين ثبتت صحبتهم ورضا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عنهم وأسهموا في نقل القرآن الكريم إلى الأجيال التالية ونقل سنة وسيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هؤلاء يستثنون ولكن هناك أناس أيضًا نافقوا، وهناك أناس ارتدوا إلى غير ذلك فلا نقول بما يقوله المطلقون أنهم عدول جميعًا وأن كل من رأى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ولو للحظة يعد صحابيًا ولا نقبل أيضًا أن يرفضوا بالطريقة التعميمية إياها.

فهذه أسئلة كثيرة سنحاول في هذه السلسلة إن شاء الله أن نجيب عنها وعن أمثالها وأن نفتح كل تلك الجراحات لشبابنا لكي يتعلموا.